أنوار كاشفة **الرسالة إلى رومية** **الحلقة التاسعة**

مستمعي العزيز، انتهينا في اللقاء الماضي من دراسة الأصحاح الثالث من رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في مدينة رومية أو روما. وهي الرسالة التي تعتبر من أجزاء العهد الجديد من الكتاب المقدس.

وكان الرسول بولس قد أكد في هذه الأصحاحات الثلاثة الأولى على نزاهة وعدالة دينونة الله، وشمولها كل من يخطئ، أي جميع البشر من دون استثناء. أي شمولها فئة الوثنيين وفئة المتدينين من اليهود. لكنه عاد وأعلن أن الله وفَر الخلاص لجميع البشر عن طريق الإيمان بالمخلص يسوع المسيح، وبعمله الكفاري على الصليب. أي أن الله يبرر الإنسان الخاطئ بمجرد إيمانه الصادق بموت المسيح البديلي عنه. وختم الرسول بولس الأصحاح الثالث بالتأكيد أنه لامجال لإفتخار الإنسان. فما دام الله يقبل الإنسان الخاطئ عن طريق الإيمان، فإن كل افتخار بالجهد البشري أي بالإعمال ينتفي. وبتعبير آخر إن الله هو صاحب الفضل في خلاص الإنسان ، وليس للإنسان أي فضل.

لكن ماذا عن رجال الله وأنبيائه في العهد القديم ألم يخلصوا عن طريق الأعمال الصالحة؟ إنه حقا سؤال مهم، وكأن الرسول بولس قد عرف أن هذا السؤال لابد أن يطرحه قارئو رسالته، لهذا بدأ الأصحاح الرابع بالإجابة عنه. فتحدث عن أعظم رجال الله في العهد القديم وهو إبراهيم الخليل.

أجل بدأ الرسول بولس الأصحاح الرابع بطرح التساؤل: " **فماذا نقول إن أبانا إبراهيم قد وجد حسب الجسد. لإنه إن كان إبراهيم قد تبرر بالأعمال فله فخر. ولكن ليس لدى الله.**" لقد أوضح الرسول بولس هنا أنه إذا كان إبراهيم قد تبرر بأعماله فيحق له الإفتخار لكن ليس أمام الله. وبتعبير آخر حتى إبراهيم رجل الله العظيم لم يستطع الحصول على تبرير الله أو خلاصه عن طريق أعماله الصالحة. فكيف تبرر إبراهيم إذن؟

أجابنا الرسول بولس عن هذا السؤال في العدد الثالث عندما اقتبس من العهد القديم هذه الآية المهمة: " **لإنه ماذا يقول الكتاب. فآمن إبراهيم بالله فحُسب له برا.**" وهذا يؤكد أن إبراهيم تبرر أمام الله عن طريق الإيمان. إذن لقد خلص الإنسان حتى في العهد القديم ، أي قبل مجيء المسيح، عن طريق الإيمان وليس الأعمال. لكن ألا يوجد أي دور للأعمال الصالحة بالنسبة للحصول على خلاص الله؟

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

أجاب الرسول بولس بالنفي عن هذا السؤال عندما تابع في العددين ٤ و ٥ قائلا: " **أما الذي يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين. وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له برا.**" صحيح. لأن كل من يقوم بعمل ما يستحق أجرة معينة عليه. وبما أن خلاص الله أو تبريره مقدم لي مجانا وبدون أي مقابل مني فعلي أن أؤمن فقط لكي أحصل عليه. وهكذا ينتفي أي دور للأعمال الصالحة في خلاص الإنسان.

ولقد أكد الرسول بولس هذه الحقيقة باقتباسه آية من العهد القديم ومن المزمور الثاني والثلاثين. فكتب في الأعداد ٦-٨ يقول: " **كما يقول داود أيضا في تطويب الإنسان الذي يحسب له الله برا بدون أعمال. طوبى للذين غفرت وسترت خطاياهم. طوبى للرجل الذي لا يحسب له الرب خطية.**" أي يا لغبطة ذلك الإنسان الذي يغفر الله آثامه ويستر خطاياه ولا يحسب له خطية. لماذا؟ لأن هذا الغفران أعطاه إياه الله ليس نتيجة لعمل صالح قام به ، بل بمجرد إيمانه.

لعل السؤال الآن: إذا كان الله قد برر الإنسان حتى في العهد القديم عن طريق الإيمان فقط وليس الأعمال، لكن في نفس الوقت علينا أن لا نتجاهل أن أنبياء الله قديما وشعبه قد مارسوا فريضة الختان. والختان يعتبر عملا أليس كذلك؟ هذا صحيح فإن الختان الذي هو التطهير في الجسد يعتبر عملا. ولهذا تابع الرسول بولس نقاشه حول هذا الموضوع في العددين ٩ و ١٠ من الأصحاح الرابع من الرسالة إلى رومية، فتساءل قائلا:

" **أفهذا التطويب هو على الختان فقط أم في الغرلة أيضا. لأننا نقول إنه حسب لإبراهيم الإيمان برا. فكيف حُسب. أهو في الختان أم في الغرلة؟** " وبتعبير آخر هل كان تطويب الله للإنسان الذي حُسب له برا بدون أعمال قديما ، هل كان هذا التطويب والإنسان في حالة الختان أي التطهير؟ أم في حالة الغرلة أي عكس الختان؟ وأيضا إذا كان الله قد برر إبراهيم الخليل، أي وهبه الخلاص عن طريق الإيمان، فهل أعطاه هذا البر عندما كان مختونا أم قبل أن يختتن أو يتطهر؟ حقا إنها تساؤلات هامة. وهنا أجاب الرسول بولس قائلا: " **ليس في الختان بل في الغرلة.**" أي أن الله برر الإنسان عندما كان في حالة الغرلة وليس في وضع الختان أو التطهير.

ثم أوضح الرسول بولس إجابته عن هذا السؤال أيضا فكتب في العدد الحادي عشر قائلا: " **وأخذ – أي إبراهيم– علامة الختان ختما لبر الإيمان الذي كان في الغرلة ليكون أبا لجميع الذين يؤمنون وهم في الغرلة كي يحسب لهم البر أيضا.**" أي أن الختان أو التطهير وضعه الله كعلامة تأكيدا لحصول الإنسان على بر الله بالإيمان. وبمعنى آخر أن الختان كعمل صالح أتى نتيجة لحصول الإنسان على تبرير الله بواسطة الإيمان. والأمر المدهش أن الله برر إبراهيم وهو في حالة الغرلة لكي يجعله أبا لكل الذين سيؤمنون وهم في حالة الغرلة مثله. والسبب لكي ينالوا هم أيضا بر الله أو خلاصه عن طريق الإيمان. وإذا عدنا إلى سفر

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

التكوين في العهد القديم، نجد أن إبراهيم إختتن بعد أربع عشرة سنة من قبوله دعوة الله ، ودخوله معه في العهد. أي أن الختان لم يكن الوسيلة التي حصل فيها إبراهيم على بر الله، لكنه كان العلامة أو الختم لحصوله على خلاص الله.

لكن هل هذا يعني في المقابل أن كل إنسان أُختتن أو تطهّر يعتبر حاصلا على بر الله أو خلاصه؟ حقا إنه سؤال هام. ولقد أجابنا عنه الرسول بولس عندما كتب في العدد الثاني عشر من الأصحاح الرابع من الرسالة إلى رومية، إذ تابع قائلا عن إبراهيم: "**وأبا للختان للذين ليسوا من الختان فقط بل أيضا يسلكون في خطوات إيمان أبينا إبراهيم الذي كان وهو في الغرلة.**" إن الختان لوحده إذن لا يكفي لكي يحصل الإنسان على بر الله. بل على المختون أن يؤمن أولا كإبراهيم، ويخطو كخطوته في الإيمان، وعندئذ يصبح إبراهيم المؤمن أبا له. ونستطيع القول في نفس الإتجاه أن ليس كل يهودي مختون يعتبر من نسل إبراهيم، ولا يحق له بالتالي أن يدعو إبراهيم أباه. والسبب لأنه لم يشترك مع إبراهيم المؤمن في إيمانه وثقته بالله. إن الإنسان الذي يؤمن اليوم كما آمن إبراهيم ومهما كانت جنسيته، إن كان مختونا أم لا، ينال خلاص الله أو بره.

لقد دحض الرسول بولس في مناقشته الأفكار اليهودية، التي كانت تعتقد أن كون الإنسان يهوديا يجعله يتمتع بكل الإمتيازات، ويجنبه دينونة الله. وليس هذا فحسب بل حطّم فكرة أن الختان هو الوسيلة التي تؤهل الإنسان أن يكون من نسل إبراهيم. إن الذي يجعل للإنسان نصيبا في الحصول على بر الله أو خلاصه هو كما قلنا الإيمان فقط. أي الإيمان بموت المخلص يسوع المسيح الكفاري من أجله على الصليب ، وقيامته المجيدة من بين الأموات. فهل تراك تؤمن يا صديقي الإيمان القلبي الصادق وتصبح من نسل إبراهيم المؤمن.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service